الفكر مرآة الحسنات، وكفّارة السيئات، وضياء للقلوب، وفسحة للخلق، وإصابة في صلاح المعاد، واطلاع على العواقب، واستزادة في العلم. وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها.

الإمام الصادق عليه السلام

سرّ الحاجة إلى الإمام المعصوم

الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي دام ظله

على الرغم ممّا يجمع المسلمين من اتفاق حول كلّيات الدين، كالأصول، والعقائد، والأخلاق، والأحكام (سواء ما كان منها متعلّقاً بالمناسك العباديّة أم ما يختصّ بالأحكام المدنيّة، والحقوقيّة، والقوانين القضائيّة، والجزائيّة، والسياسيّة، وما إلى ذلك من الشؤون الإسلاميّة)، على الرغم ممّا يجمعهم، إلاّ أنّهم يختلفون في جانب ثانويّ من العقائد وبعض تفاصيل الأحكام والقوانين، الأمر الذي جعلهم أتباع فِرَق ومذاهب شتّى.

والواقع أنّ من الممكن تلخيص هذه الخلافات في محورين أساسيّين؛ الأوّل: محور العقائد المرتبط بعلم الكلام، والثاني: محور الأحكام (بمدلوله العام) الذي يستند إلى علم الفقه.
والنموذج البارز للخلاف حسب المحور الأوّل هو الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في المسائل الكلاميّة. أما النموذج في نطاق المحور الثاني فهو الخلاف في المسائل الفقهيّة بين المذاهب السنّية الأربعة.

إنّ أحد أشهر الخلافات بين المذاهب الإسلاميّة هو ذلك القائم بين الشيعة والسنّة في قضيّة الإمامة، حيث يعتقد الشيعة (الإماميّة) أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام بعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والخليفة من بعده، في حين لا يعتبر أهل السنّة عليّاً عليه السلام سوى أنّه الخليفة الرابع من بعد الرسول صلى الله عليه و آله.
في واقع الأمر إنّ الميزة الرئيسيّة التي تميّز مذهب الإماميّة هي الاعتقاد بإمامة الأئمّة الاثني عشر مع حيازتهم لثلاث خصال: العصمة، والعلم الموهوب من الله، والتنصيب من قبل الله تعالى.

هنا يُطرح سؤال وهو: هل إنّ أصل هذا الخلاف مرتبط بحقل العقائد والكلام، والخلافات الفقهيّة ذات الصلة به لا تعدو أن تكون مسألة فرعيّة ليس إلاّ؟ أم إنّه خلاف فقهيّ صِرف؟ أم هو نزاع سياسيّ أشبه ما يكون بذلك الذي ينشب بين

حزبين سياسيّين على انتخاب مرشّح الرئاسة لكلّ منهما؟
الحقيقة هي أنّ هذه المسألة ـ على الأقلّ من وجهة نظر التشيّع ـ هي مسألة عقائديّة كلاميّة، وأنّ أبعادها الفقهيّة والسياسيّة لها جَنبة فرعيّة لا غير. بعبارة أخرى: إنّ للنظام العقائديّ عند الشيعة حلقات مرتّبة ومتناسقة والإمامة تشكل واحدة من تلك الحلقات، وبحذفها تفقد هذه السلسلة انسجامها وكمالها. ومن أجل أن يزداد هذا المطلب وضوحاً يتعيّن علينا أن نلقي نظرة إجماليّة على النظام العقائديّ للشيعة، لتتّضح لنا مكانة الإمامة من هذا النظام المتسلسل، ويتبيّن السبب من وراء اهتمامهم بهذه القضيّة والدليل على ضرورتها.

ومن نافل القول، إنّ الحلقة الأُولى في النظام العقائديّ للإسلام هي الاعتقاد بوجود الإله الواحد، ومن ثمّ الاعتقاد بصفاته الذاتيّة والفعليّة. إنّه تعالى، ووفق الرؤية الإسلاميّة، كما أنّه الخالق لكلّ ظاهرة في الوجود، فهو الربّ والمدبّر والمدير لها كذلك، ولا موجود على الإطلاق هو خارج عن مملكة خالقيّته وربوبيّته. والله سبحانه وتعالى لم يخلق أيّ شيءٍ باطلاً أو عبثاً، بل إنّ الكلّ قد خُلق وفق نظام حكيم، وكلّ الموجودات، التي تنتظم في سلاسل طُوليّة وعَرْضيّة، وبسعة تمتدّ منذ الأزل وحتّى الأبد، تشكّل معاً نظاماً واحداً متناسقاً، تتمّ إدارته ـ بمقتضى الحكمة الإلهيّة ـ بواسطة قوانين العِليّة.

ومن بين مخلوقات الباري تعالى، التي لا تُحصى ولا تُعد، هو الإنسان الذي يمتاز بصفات من قبيل الشعور، والتعقُّل، والإرادة، والإختيار، الأمر الذي يجعل أمامه مسيرين: أحدهما يتّجه به نحو السعادة، و الآخر يقوده نحو الشقاء الأبديّ. لهذا السبب فالإنسان مشمول بربوبيّة خاصّة ـ زائدة على تلك الربوبيّة التي تشمل كلّ ظواهر الوجود غير المختارة ـ ألا وهي الربوبيّة التشريعيّة. أي أنّ مقتضى الربوبيّة الإلهيّة الجامعة، بالنسبة إليه، هو أن توفّر له الأسباب والمقدّمات للسير الاختياريّ والتي من بينها تعريفه بالهدف، وتشخيص معالم الطريق الذي سيطويه للوصول إليه، كي يتيسّر له الاختيار عن تعقّل ووعي. على هذا الأساس فإنّ مقتضى الحكمة الإلهيّة هو ترميم النقص الحاصل في إدراكاته الحسيّة والعقليّة عن طريق علوم الوحي.

يتّضح مما تقدّم مدى أهميّة مجموعة الوحي والنبوّة في هذا المضمار. فلو أنّ الله تبارك و تعالى أوكل الإنسان إلى نفسه، ولم يرسل إليه الأنبياء ليدلّوه على الصراط المستقيم للوصول إلى السعادة الأبديّة، لكان كالمضيف الذي يدعو ضيفه للقيام بضيافته، ثمّ لا يدلّه على دار الضيافة!

انّ تعاليم الأنبياء كانت ـ تحت تأثير عوامل شتّى ـ تشكو التغيير والتحريف، العمديّ منه وغير العمديّ، بمرور الوقت إلى الحدّ الذي كانت تفقد معه خاصيّتها في الهداية، الأمر الذي كان يستدعي بعثة نبيّ آخر لكي يحيي التعاليم الماضية، ويأتي ـ إذا لزم الأمر ـ بتعاليم أخرى تُضاف إلى سابقاتها، أو تحلّ محلّها.

وهنا يُطرح السؤال الآتي: هل إنّ هذا المنوال سيستمرّ الى أبد الآبدين؟ أم أنّ من الممكن أن تأتي شريعة متكاملة تبقى مصونة من آفة التحريف فتنتفي الحاجة بذلك إلى بعثة نبيّ آخر؟
إنّ الإجابة التي يطرحها الإسلام على هذا السؤال هي الخيار الثاني. فكلّ المسلمين متفقون على أنّ الإسلام هو آخر شريعة سماويّة، وأنّ نبيّ الإسلام هو خاتم الأنبياء، وأنّ القرآن الكريم، الذي هو المصدر الأساس لهذه الشريعة، قد وصل إلى أيدينا سالماً، خالياً من التحريف وسيبقى كذلك.

غير أنّ القرآن الكريم لم يُبيّن كلّ ما تحتاجه البشريّة من تعاليم بشكل تفصيليّ، وأوكل هذه المهمّة الى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فقد جاء فيه ما نصّه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴾ النحل: 44. ويُستدلّ من ذلك على أنّ المصدر الثاني لمعرفة الإسلام هو «السنّة». إلاّ أنّ هذا المصدر ليس مصوناً [من التحريف] كما كان القرآن مصوناً منه. فنفس النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله قد تنبّأ ـ والشواهد التاريخيّة القطعيّة متوفّرة ـ على أنّ أفراداً سينسبون، كذباً، إليه ما لم يقُله، وسينقلون عن لسانه أقوالاً عاريةً عن الصحّة.

وهنا يأتي سؤال آخر مفاده: ما هو المشروع الذي رسمته الربوبيّة الإلهيّة في سبيل تأمين هذه الحاجة الملحّة بعد رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله؟
في هذه النقطة بالذات يُلاحظ أنّ هناك حلقة مفقودة في سلسلة التشكيلة الفكريّة والعقائديّة لأهل السنّة بخلاف التشكيلة العقائديّة للشيعة حيث تسطع ـ في هذا المجال ـ حلقة غاية في الوضوح ألا وهي «الإمامة». بمعنى أنّ تبيين أحكام الإسلام وقوانينه وتفسير عموميّات القرآن الكريم ومتشابهاته بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، قد أُوكل إلى أفراد يتمتّعون بعلم أفاضه الله عليهم، ومَلَكة منحهم إيّاها وهي العصمة، وكذا جَميع المقامات والمزايا التي كانت للنبيّ الأعظم صلى الله عليه و آله ـ باستثناء النبوّة والرسالة ـ كمقام الولاية والحكومة. بتعبير آخر: إنّ ربوبيّة الله التكوينيّة اقتضت وجود مثل هذه الشخصيّات في هذه الأمّة، وإنّ ربوبيّته التشريعيّة اقتضت فرض طاعة هؤلاء على الناس.

إذن، حلقة الإمامة هي في الحقيقة استمرار لمجموعة الرسالة، وإنّ عترة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله هم الذين واصلوا الطريق وقاموا بمهمّة الرسول صلى الله عليه و آله من بعده، حيث أنّهم ـ ومن دون تمتّعهم بمقام النبوّة ـ حفظوا ميراث هذا الرجل العظيم، وبيّنوه للأجيال القادمة، وهم قد نُصّبوا ـ ضمناً ـ من قِبل الله جلّ وعلا، لإدارة شؤون المجتمع الإسلاميّ، والتصدّي لمقام الحكومة والولاية على الأُمّة، على الرغم من أنّ هذا الأمر لم يدخل حيّز التنفيذ إلاّ لفترة وجيزة، كما أنّه لم يكن قد تيسّر إلاّ لبعض الأنبياء فقط وفي برهة محدودة من الزمن.

إستناداً إلى ما تقدّم، أصبح من الجليّ أنّ مسألة الإمامة، هي أصلاً مسألة كلاميّة، ولابدّ من أن تُبحث من باب أنّها قضيّة عقائديّة، لا أن تُناقش على أنّها مجرّد فرع من فروع الفقه، أو بعنوان أنّها قضيّة سياسيّة أو تاريخيّة.

قدّم هذا النص إلى مؤتمر حول التشيّع / فيلادلفيا

المناجاة الشعبانية في فكر الإمام الخميني

«تحتاج الأمر إلى رياضات كثيرة ليستطيع الإنسان أن يفهم حقيقة معنى "ناجيتَه" بالفتح وليس "ناجيتُه" بالضم».

* المناجاة الشعبانية، مناجاة قلّ نظيرها.
* نحن نفتخر بأن في مُتناولنا مناجاةَ الأئمة الشعبانية.
* «هل قرأت المناجاة الشعبانية؟ إقرأها أيها العزيز.
* من يلزم هذه المناجاة الشعبانية ويفكّر فيها يصل إلى مكان ما»

*** في المناجاة الشعبانية مسائل عرفانية يمكن أن يدركها الفلاسفة إلى حدود ما، أي أن يفهموا عناوينها، لكن حيث إنه لم يتحقق لهم الذوق العرفاني فإنهم لن يستطيعوا أن يعيشوها. كم هي عظيمة هذه المناجاة..؟**
***جميع المسائل التي أوردها العُرفاء في كتبهم المبسوطة، أو نقلوها، موجودة في عدة كلمات من المناجاة الشعبانية.**
***شهر شعبان هو شهر تهيئة الفرد والأمة لضيافة الله تعالى. والعمدة في هذه التهيئة هي المناجاة الشعبانية.**
***أنا لم أرَ في الأدعية دعاءً ورد حوله أن جميع الأئمة كانوا يقرأونه إلاّ هذا الدعاء.**
***المناجاة الشعبانية هي لإعداد الجميع وتهيئتهم لضيافة الله.**

«المناجاة الشعبانية» من الأعمال العامّة لشهر شعبان، يُدعى بها في كلّ يوم من هذا الشهر المبارك، بل مطلقاً، في كل يوم من أيام السنة. وترجع أهميتها ـ بالإضافة إلى فرادة مضامينها التخصّصية جداً ـ إلى أنّ الأئمة ـ النقباء، الخلفاء ـ الإثني عشر؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه إلى المهدي المنتظر عليهم جميعاً السلام، كانوا جميعاً يناجون الله تعالى بها، في شهر شعبان.

برواية ابن خالويه

الراوي الوحيد لهذه المناجاة، والذي صرّح بقراءة الأئمة جميعاً لها، هو «ابن خالويه»، ولذلك يُعبّر عن المناجاة عادة بأنّها «برواية ابن خالويه».

قال السيّد ابن طاووس في ترجمته: اسم ابن خالويه الحسين بن محمد، وكنيتُه أبو عبد الله، وذكر النجاشي «أنه كان عارفاً بمذهبنا مع علمه بعلوم العربية واللغة والشعر، وسكن بحلب».

والنجاشي شيخ مشايخ التوثيق.

كما نقل السيد مدح «شيخه» و«شيخ المحدثين ابن النجار» لابن خالويه، وأورد قوله فيه: «كان إماماً أوحد أفراد الدهر في كلّ قسم من أقسام العلم والأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وسكن بحلب، وكان آل حمدان يكرمونه».

قال السيد الخوئي في التعريف بابن خالويه:

«الحسين بن خالويه: = الحسين بن أحمد بن خالويه. قال النجاشي: الحسين بن خالويه أبو عبد الله النحوي: سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبنا مع علمه بعلوم العربية واللغة والشعر. وله كتب منها: كتاب الآل ومعناه (كتاب الأول ومقتضاه) ذكر إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، "..." وكتاب مستحسن القراءات والشواذ، كتاب حسن في اللغة، كتاب اشتقاق الشهور والأيام. "..." وذكره السيد ابن طاووس في الإقبال "..." فقال: مدحه محمد بن النجار في التذييل، وقال: كان إماماً أوحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق وسكن بحلب وكان آل حمدان يكرمونه (إنتهى). وعن اليافعي في تاريخه:

أنه الحسين بن أحمد بن خالويه، وكذلك عن ابن خلّكان. والموجود في ما عندنا من نسخة الإقبال، الحسين بن محمد بن خالويه، والله العالم، وعن اليافعي: أنه تُوفّي سنة 317، وعن ابن خلّكان: أنه مات سنة 370».

معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج 6، ص 252

راوي المناجاة الشعبانية الحسين بن خالَوَيْه. قال فيه شيخ المحدثين ابن النجار: «أوحد أفراد الدهر في كلّ قسم من أقسام العلم والأدب وكانت إليه الرحلة من الآفاق وسكن بحلب وكان آل حمدان يكرمونه». وقد جرت مناظرات بينه وبين المتنبّي.

«إبن خالويه» اثنان، كلاهما من كبار العلماء

ولدى الرجوع إلى كتب التراجم وغيرها، يتضح أنّ هناك شخصين يُعرف كلٌّ منهما بابن خالويه: أحدهما الحسن بن محمد (أو أحمد) بن خالويه وهو شيخ بعض مشايخ النجاشي.

والثاني: ابن خالويه أبو الحسن الفارسي، علي بن محمد بن يوسف بن مهجور (أو مهاجر) شيخ مشايخ النجاشي.

والذي نسب السيد إليه رواية المناجاة الشعبانية هو الأول والأشهر، وهو من كبار الأئمّة في النحو واللغة عموماً، وله كتب مرجعية عديدة، وقد مكّنه موقعه العلمي من أن يفرض حضوره باحترام في أكثر مصادر اللغة، والتفسير، وبعض أمّهات مصادر السيرة من خلال كتابه «الآل» الذي ذكر العلامة الحلّي في وصفه أنه في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اعتمده الأربلي في كشف الغمّة بشكل رئيس، كما يذكر بعض الفقهاء ومنهم العلامة الحلي تصريحه [تصريح ابن خالويه] بأنّ الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم مذهب أهل البيت وعليه إجماع الإمامية.

وقد جرت مناظرات بينه وبين عدد من المشاهير ومنهم المتنبّي في مجلس سيف الدولة بحلب حيث استقر ابن خالويه يكرمه بنو حمدان وينهلون من علمه، إلى أن تُوفي فيها عام 370 للهجرة، وله شرح على قصيدة أبي فراس في أهل البيت عليهم السلام.

ويستظهر بعض المتأخرين أن الذي يروي المناجاة الشعبانية هو الثاني، ولعلّ مستند هذا الإستظهار هو أنّ للثاني كتباً في عمل رجب وشعبان وشهر رمضان، إلاّ أن ذلك لا يشكل ما يُركن إليه.

وسواء أكان الراوي للمناجاة الشعبانية الأول من الأشهرين بابن خالويه، أم الثاني، فكلاهما في غاية الوثاقة، إذ أنّ من القواعد المعروفة في توثيق مثلهما، أنه «من مشايخ النجاشي»، هذا بالإضافة إلى ما نقل حول كلٍّ منهما. وقد احتلّت هذه المناجاة وما تزال مكانتها السامية الخاصة بها بين العلماء، نظراً إلى عظيم أهمية مضامينها، وإلى مكانة ابن خالويه الذي يأتي تصريحه بأنّ الأئمة جميعاً عليهم السلام كانوا يقرأونها.

من كلمات العلماء

1. أورد السيد أنّ ابن خالويه يقول حول المناجاة الشعبانية: «إنها مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والائمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان».

الإقبال، ج 3، ص 296

2. أورد المناجاة العلاّمة المجلسي نقلاً عن الكتاب العتيق الغرويّ الذي يرمز له بـ(ق) فقال: «مناجاة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وهي مناجاة الأئمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان، رواية ابن خالويه رحمه الله».

3. في معرض حديثه عن شهر شعبان، تحدّث العارف الجليل آية الله الملكي التبريزي رضوان الله تعالى عليه عن هذه المناجاة فقال:

«ومناجاته الشعبانية معروفة. وهي مناجاة عزيزة على أهلها، يحبونها ويستأنسون بشعبان من أجلها، بل ينتظرون مجيء شعبان ويشتاقون إليه من أجلها. وفي هذه المناجاة علوم جمّة في كيفية تعامل العبد مع الله جلّ جلاله، وبيان وجوه الأدب التي ينبغي أن نلتزمها ونتأدّب بها عندما نسأل الله تعالى حوائجنا، وندعوه سبحانه ونستغفره، وإستدلالات لطيفة تليق بمقام العبودية لإحكام مقام الرجاء المناسب لحال المناجاة، ودلالات صريحة واضحة في معنى لقاء الله تعالى والقرب منه والنظر إليه جلّ جلاله، ترفع شبهات السالكين وشكوك المنكرين "..". وهذه المناجاة من مهمّات أعمال هذا الشهر، بل للسالك أن لا يترك قراءة بعض فقراتها على مدار السنة، و يُكثر المناجاة بها في قنوته و سائر حالاته السنيّة «..» إن هذه المناجاة مناجاة جليلة ونعمة عظيمة من بركات آل محمد عليهم السلام، يعرف قدر عظمتها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

يضيف: «ولعمري إنّ الأغلب لا يعرفون شأن نعمة هذه المناجاة، وأنّ من شأنها علوماً عزيزة ومعارف جليلة، لا يطّلع عليها وعلى أبعادها إلاّ أهل ذلك من أولياء الله الذين نالوا بها من طريق الكشف والشهود ما نالوا. ثمّ إنّ الوصول إلى حقائق هذه المناجاة عن طريق المكاشفة إنّما هو من أجلّ نِعَم الآخرة، ولا يُقاس الوصول إلى حقائق هذه المقامات بشيء من نعيم الدنيا، وإليه أشار الصادق عليه السلام بقوله: **لو علم الناس ما في**

فضل معرفة الله ما مدّوا أعينهم إلى ما مُتّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا، وكانت دنياهم أقلّ عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، وتنعّموا بمعرفة الله وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله...».

المراقبات، ص 75-76 بتصرّف

ويهدف القسم الأخير من كلامه واستشهاده رضوان الله تعالى عليه بهذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، إلى توجيهنا نحو اللّذة الروحية السامية التي تنتج من العبادة بمختلف مظاهرها من مناجاة وصلاة وصيام، وأنّ الإنسان إذا عرف حقيقة اللّذة الروحية فإنّه يراها أفضل بكثير من كلّ لذائذ الدنيا.

ومن الواضح أنّه قد ذكر ذلك في سياق التأكيد على فرادة العلاقة بين المناجاة الشعبانية والكشف والشهود واللّذة الروحية الناتجة منهما ببركة هذه المناجاة.

4. قال المحدّث الجليل الشيخ القميّ رحمه الله: «وهذه مناجاة جليلة القدر منسوبة إلى أئمتنا عليهم السلام، مشتملة على مضامين عالية، ويحسن أن يدعى بها عند حضور القلب متى ما كان».

مناجاة عزيزة على أهلها يحبّونها ويستأنسون بشعبان من أجلها، بل ينتظرون مجيء شعبان ويشتاقون إليه من أجلها، وفي هذه المناجاة علوم جمّة في كيفية تعامل العبد مع الله جل جلاله، وإستدلالات لطيفة تليق بمقام العبودية لإحكام مقام الرجاء المناسب لحال المناجاة، ودلالات صريحة واضحة في معنى لقاء الله تعالى والقرب منه والنظر إليه جلّ جلاله، ترفع شبهات السالكين وشكوك المنكرين.

المراقبات

5. يقول الإمام الخميني في وصيته: «نحن نفتخر بأن لنا مناجاة الأئمة الشعبانية».

وأبرز انطباع يخرج به المتابع لنص الإمام هو تفاعله النوعي مع المناجاة الشعبانية، فهو يُكثر الإستشهاد بالمناجاة في دروسه وخُطَبه وكتبه بنحو ملفت جداً. وهذه وقفة مع ما في نصّ الإمام حول أهميتها وفرادة مضامينها.

ورد ذكر هذه المناجاة باسمها «شعبانية» في خُطَب الإمام في عشر خُطَب، وهو يذكرها في كلّ خطبة عدّة مرات. وهذا عدا الموارد التي ذكرها فيها بلفظ «المناجاة الشعبانية» أو غير ذلك.

وحول أهميتها نجد الآتي:

أ- لو لم يكن في الأدعية إلا المناجاة الشعبانية لكفى ذلك دليلاً على أنّ أئمتنا هم أئمةٌ بحقّ، لأنهم أنشأوا هذا الدعاء و واظبوا عليه.

ب- جميع المسائل التي أوردها العرفاء في كتبهم المبسوطة، أو نقلوها، موجودة في عدّة كلمات من المناجاة الشعبانية.

ت- يتحدث الإمام عن ضيافة الله تعالى فيقول:

«عندما تريد أن تذهب إلى ضيافة فإنك تهيّيء نفسك غالباً بشكل آخر من حيث الثياب وغير ذلك، بحيث يختلف وضعك عمّا كان عليه في البيت. شهر شعبان فرصة لهذه التهيئة والإستعداد للضيافة، بحيث يختلف وضعك عما كنت عليه. شهر شعبان هو لتهيئة الفرد والأمة لضيافة الله تعالى، والعمدة في هذه التهيئة هي المناجاة الشعبانية. أنا لم أرَ في الأدعية دعاءً ورد حوله أنّ جميع الأئمة كانوا يقرأونه إلا هذا الدعاء.

المناجاة الشعبانية هي لإعدادك وإعداد الجميع وتهيئتهم لضيافة الله».

إلى أن يقول: «المناجاة الشعبانية [مناجاة] قلّ نظيرها».

دروس من المناجاة:

1- حجب الغرور وتضخيم الأنا

في خطاب له في القوات البحرية يقول الإمام:

«لم يكن الجيش الإسلامي يبحث عن غنيمة... كان يريد أن يفتح القلوب. أيّ بقعة وصلها الجيش الإسلامي، فقبل كل شيء أقام فيها مسجداً. عندما وصلوا إلى القاهرة حدّدوا مكان المسجد».

«كان الجيش الإسلامي يبذل الجهد لبناء المساجد والمحاريب. ولذلك بُعث الأنبياء، ليوصلوا الإنسان إلى الكمال المطلق، وينجوه من الحيرة والضلالة».

«بُعث الأنبياء لإخراج الإنسان من ظلمة الطبيعة إلى النور، بل من حُجُب النور والظلمة إلى ما وراء ذلك».

«في المناجاة الشعبانية تقرأون: **إلهي هَب لي كمال الإنقطاع إليك، وأنِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حُجُب النور.** [أي] إهدنا إلى حيث تشقّ رؤى قلوبنا، عيونُ قلوبنا، حجبَ النور فتصل إليك.

جاء الإسلام لينجي الإنسان من ضلالته هذه. من هذه الحُجب التي تحجبه. الحُجب التي هي أخطر من كلّ حجاب. حجب الغرور. حجب تضخيم الأنا وتكبيرها.

بمجرد أن يحصل الإنسان على شيء يتولّد فيه غرور فيرى نفسه كبيراً.

جاء الإسلام ليحطّم هذا الغرور. ما دام الإنسان يرى نفسه فلا يمكنه أن يصل إلى ذلك الطريق الذي هو طريق الهداية. يجب أن يدوس على هذا. أول أمرٍ هو هذا. أن يدوس على شهواته. على أهوائه النفسانية».

2- وخرّ موسى صعقا: السّهل الممتنع

في خُطبة أخرى بمناسبة النصف من شعبان وحول فقرة:

إلهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك وناجيته فصعق لجلالك فناجيته سراً وعمل لك جهراً، يتناول الإمام بعض المفاهيم العصيّة على الفهم، وهي من السهل الممتنع فيقول: «لا العارف ولا الفيلسوف ولا العالم يستطيع أن يذوق حقيقة مسألة (**فصعق لجلالك**) المستمدّة من القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: 134.

يتصور الإنسان أن المراد أن موسى أُغمي عليه. صعق يعني أُغمي عليه! أما حقيقة هذا الصعق... ما هو صعق النبيّ موسى؟ إنها مسألة لا يمكن أن يفهمها غير موسى عليه السلام. [وكذلك] في قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ النجم: 8، إنها مسألة لا يفهمها إلاّ الذي دنا، هو الذي يستطيع أن يدرك ذلك ويذوب فيه».

يضيف رضوان الله عليه:

«أو هذه الجملات في هذه المناجاة العظيمة، وبعض الجملات الأخرى. إنّها مسائل بحسب الظاهر سهلة وبحسب الواقع ممتنعة. يحتاج الأمر إلى رياضات كثيرة ليستطيع الإنسان أن يفهم حقيقة معنى (ناجيتَه) بالفتح لا (ناجيتُه) بالضم. حقاً ما معنى ذلك؟ ما معنى أن الله تعالى يناجي الإنسان؟ كم هي عظيمة هذه المناجاة؟ ماذا أراد الأئمة عليهم السلام؟ «..» ما هي حقيقة الأمر؟ أيّ مسائل كانت بينهم وبين الله تعالى؟ **هب لي كمال الإنقطاع إليك**. ما هو كمال الإنقطاع؟ **وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي ونفعي وضرّي**.

حسناً. بحسب الظاهر يقول الإنسان: الأمر كلّه لله. أما أن [شعبان]، وفي شهر رمضان الشريف، ليحلّ نصيب أو جلوة صغيرة في قلوبنا وأفئدتنا، وعلى الأقل لنؤمن بأنّ قضية الصعق قضية شديدة الأهمية...ونؤمن بأصل مناجاة الله تعالى للإنسان، ونتساءل ما هي حقيقتها؟، ونؤمن بالمناجاة فلا ننكرها، ولا نقول هذه لغة الدراويش.

جميع هذه المسائل موجودة في القرآن لكن بنحو لطيف، وهي موجودة في كتب أدعيتنا المباركة التي رُويت عن أئمة الهدى عليهم السلام أيضاً بنحو لطيف، ولكن ليس بمستوى لطافة القرآن.

وكلّ الذين استعملوا هذه المصطلحات في ما بعد، سواءً فهموها أم لم يفهموها، أخذوها من القرآن والحديث.

ويمكن أن لا يُصحّحوا السند. طبعاً قلائل هم الذين يمكنهم أن يصلوا إلى حقيقتها، فضلاً عن الوصول إلى تذوّق الروح لها. تذوّق الروح مسألة فوق هذه المسائل».

3- مناجاة الله تعالى لعبده الخاص:

(إلهي هَبْ لي كمال الإنقطاع إليك، وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حُجُب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك. إلهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً).

يقول الإمام: «كمال الإنقطاع هذا، خروج من منزل النفس والنفسانيات وكلّ شيء وكلّ شخص، والإلتحاق به عزّ وجلّ... والإنقطاع عن الغير... وهو هبة إلهية للأولياء الخُلّص بعد الصعق الحاصل من الجلال التابع للّحظ [بطرف العين]... (**ولاحظته**).

وأبصار القلوب ما لم تستنر بضياء نظرها فلن تخرق حُجُبَ النور.. وما دامت هذه الحُجُب باقية فلا سبيل إلى معدن العظمة.. ولن يمكن للأرواح أن تتعلق بعزّ القدس.. ولن تحصل مرتبة التدلّي ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ النجم: 8، أو أدنى منها الفناء المطلق والوصول المطلق.

نجوى السر من الحقّ مع عبده الخاص لا تتحقق إلاّ بعد الصعق، واندكاك جبل الوجود.. رزقنا الله وإياك..»

ملاحظات هامة

وفي ضوء ما تقدّم من كلمات العلماء، ينبغي تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: أنّ موجة التفاعل مع المناجاة الشعبانية، القائمة فعلاً في كثير من ديار الإسلام، والمتصاعدة يوماً بعد يوم، خمينيّة الطابع والمنهج.

ثانياً: لا تنحصر بركات المناجاة الشعبانية في حدود شهر شعبان، وإنْ كان هو موسمها الأساس. ويمكن لمن أراد، أن يقرأها في اليوم أكثر من مرة.

ثالثاً: لا يصحّ اعتبار المعاني المغلقة في المناجاة أو في غيرها، توجيهاً للإعراض عنها بحجّة أنّ الفهم شرط القراءة، فالصحيح في الطريق إلى فهم المعاني التي هي نورٌ يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء، أن القراءة - ممّن يحرص على الطاعة وطهارة القلب، مع الحرص على النفاذ إلى بواطن اللفظ والمعنى - هي شرط الفهم، والصحيح أنّ الرجوع إلى المختص قاعدة عقلية، فليرجع في فهم معاني هذه المناجاة وكلّ نص ملتبس إلى المختصين في التعامل مع النص المعصوم.

من كتاب: «مناهل الرجاء، أعمال شهر شعبان» للشيخ حسين كوراني (بتصرّف).